سلام على الدنيا ... !!

الخطبة الأولى :

الحمد لله خالق كل شيء، ورازق كل حي، أحاط بكل شيء علماً، وكل شيء عنده بأجل مسمى، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره وهو بكل لسان محمود، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الإله المعبود،

إن الملوك إذا شابت عبيدهم \*\*

في رقهم عتقوهم عتق أبرار.

وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً \*\*

قد شبت في الرق فاعتقني من النار.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الركع السجود، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الموعود، وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:-

عباد الله: يروى أن جنديًّا قال لقائده بعد معركة مع الأعداء .. أيها القائد: إن صديقي لم يعد من ساحة المعركة، وأطلب منك الإذن الذهاب للبحث عنه .. قال القائد: "الإذن مرفوض" .. فلا أريدك أن تخاطر بحياتك من أجل رجل من المحتمل أنه قد مات..

لكنه لم يعطِ أهمية لتوجيهات قائده وذهب للبحث عن صديقه في أرض المعركة وبعد ساعة عاد وهو مصاب بجرح مميت حاملاً جثة صديقه على كتفه.. كان القائد معتزاً بنفسه فقال للجندي: لقد قلت لك: إنه قد مات، فقل لي أكان يستحق منك كل هذه المخاطرة للعثور على جثته؟ ..

أجاب الجندي وهو يعاني الآلام وهو في لحظة الاحتضار: بكل تأكيد سيدي عندما وجدته كان لا يزال حياً، واستطاع أن يقول لي: "كنت واثقاً بأنك ستأتي" .. لقد شعر بالسعادة وراحة الضمير لمجرد سماعه كلمات بسيطة من صاحبه وهو يودع الحياة …

إنه الوفاء في أعلى درجاته ذلك الخُلق الذي يعتبر من محاسن الأخلاق وأعظمها في حياة الأفراد والشعوب والمجتمعات، ولذلك جاء الإسلام ليبين أهميته وفضله وأثره ودوره في حياتنا، بل جعل خُلق الوفاء قواماً لصلاح أمور الناس، فقال عز وجل: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) [البقرة: من الآية40] .. وقال تعالى: (وَالْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ إذَا عَاهَدُوْا وَالصَّابِرِيْنَ فِيْ الْبَأسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِيْنَ الْبَأسِ أوْلئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَأوْلئِكَ هم الْمُتَّقُوْنَ) [البقرة:177]..

والوفاء أن يلتزم الإنسان بما عليه من عهود ووعود وواجبات، وهو ضد الغدر والخيانة والجحود ونكران الجميل، وقد أمر الله تعالى- بالوفاء بالعهد، فقال جل شأنه: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) [الإسراء: 34]، وقال تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) [النحل: 91].. ويقول سبحانه: (وَلا تَنْقُضُوا الأيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) [النحل: آية91؟] ..

والله -سبحانه وتعالى- يحب الأوفياء من عباده، سواء كان ذلك الوفاء بالتزام دينه واتباع رسوله -صلى الله عليه وسلم- وتمسكهم بالأخلاق والقيم الفاضلة أو وفائهم بالمعاملات والحقوق والواجبات والعهود والمواثيق فيما بينهم ، وما أهلك القرى الظالمة إلاَّ بعد أن قال في أهلها: (وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) [الأعراف: 102]..

ألا وإن أعظم الوفاء مع الله تعالى، فبين الإنسان وبين الله -سبحانه وتعالى- عهد عظيم مقدس، وهو أن يعبده وحده لا يشرك به شيئًا، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف: 172] ..

فانظر في نفسك .. أين أنت من هذا الوفاء؟ ماذا قدمت له؟ هل عبدت الله حق العبادة وحافظت على عقيدتك وإيمانك، وما افترضه عليك من صلاة وصيام وزكاة وحج، وسائر العبادات والطاعات؟ أم تركت نفسك للشبهات والشهوات وغرتك دنياك بما فيها من أموال وبنين وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث والمناصب والأتباع فجعلتها إلهًا من دون الله؟! ..

لقد جعل الله الوفاء بالعهد أول صفات العقلاء، فقال: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) [الرعد:19-20]، وحذر سبحانه من التفريط بعهده فقال: (وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [النحل 95].

أيها المؤمنون/ عباد الله: والوفاء بين المسلم وأخيه المسلم عهد وميثاق يشمل السلوك والمعاملات، والحب والتعاون، ولا يقوم على أساس القرابة ولا العشيرة ولا القبيلة ولا المناطقية ولا الحزب ولا الطائفية والمذهبية ولا المصلحة والمنفعة إنما أساسه الإيمان والتقوى والحب في الله قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: 10].

وعن أبي مالك الأشعري قال: كنت عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فنزلت عليه هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) [المائدة: من الآية101]، قال: فنحن نسأله إذ قال: إنّ لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة، قال: وفي ناحية القوم أعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه، ثم قال: حدثنا يا رسول الله عنهم؛ مَن هم؟ قال: فرأيت في وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- البِشر، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "هم عباد من عباد الله من بلدان شتى، وقبائل شتى من شعوب القبائل لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها، ولا دنيا يتباذلون بها، يتحابون بروح الله، يجعل الله وجوههم نورًا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الناس، ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون" (رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبي).

فكان الوفاء لهذه الأخوة بين المسلمين الأثر الواضح؛ فقد أينعت وآتت أكلها أضعافاً مضاعفة، وكان المسلمون بها أمة واحدة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، فكانوا قوة يوم اعتصموا بحبل الله المتين..

وقد حذّر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- من ضياع الوفاء بين المسلمين فقال: "لا تحاسَدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابَروا، ولا يبع بعضكم على بيعِ بَعض، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، المسلِم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ها هنا ويشير إلى صدرِه ثلاث مرّات، بحسب امرِئٍ من الشّرِّ أن يحقرَ أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرَام: دمه وماله وعِرضُه) رواه مسلم".

عباد الله : كم قضت الأحقاد والضغائن في القلوب على علاقات وكم خربت من بيوت وكم تمكنت من صدور فحولتها إلى خصومة مع الآخرين وكم بسببها حدثت من مشاكل وخلافات وصراعات وسوء ظن وفقد المسلم الثقة بأخيه وجاره المسلم وضاقت قلوب الناس على بعضهم البعض ، بل ضاقت بهم الأوطان المترامية الأطراف ببحارها وأنهارها وجبالها وصحرائها وسهولها ووديانها ..

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن قلوب الرجال تضيق .

قال أبو سليمان الداراني : إني لألقم اللقمة أخاً من إخواني فأجد طعمها في حلقي .. قال اليزيديُّ:رأيت الخليل بن أحمد، فوجدته قاعداً على طِنْفِسةِ، فأوسع لي، فكرهتُ التضييق عليه فقال: إنَّه لا يضيق سَمُّ الخِياط على متحابَّيْنِ، ولا تسع الدنيا متباغضين (عيون الأخبار، لابن قتيبة: 3/12)

الوفاء دِينُُ يُتعبد اللهُ به، وهو كذلك دين يجب قضائه، والناس كابر عن كابر وجيل بعد جيل يرون أن يحوز هذا الخلق فقد حاز الشرف كله، هذا ابن عمر يمشي في الصحراء على دابته فيقابله أعرابي فتوقف ابن عمر ونزل، ووقف معه، وقال: ألست ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى، ثم ألبسه عمامة كانت عليه وقال له: اشدد به رأسك، ثم أعطاه دابته وقال: اركب هذا، فتعجب أصحاب ابن عمر، وقالوا له: إن هذا من الأعراب، وهم يرضون بالقليل، فقال: إن أبا هذا كان وِدّاً لعمر. وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي" (والقصة في صحيح مسلم)..

وقال الشافعي -رحمه الله-: "الحر من راعى وداد لحظة".. وأنشد يقول:

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا \*\* فدعه ولا تُكثر عليه التأسفا

ففي الناس أبدال وفي الترك راحة \*\*وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا

فما كل من تهواه يهواك قلبه \*\* ولا كل من صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة \*\*فلا خير في خل يجيء تكلفا

ولا خير في خل يخون خليله \*\*ويلقاه من بعد المودة بالجفا

وينكر عيشاً قد تقادم عهده \*\*ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها \*\*صديق صدوق صادق الوعد منصفا.

اللهم ردنا إلى دينك رداً جميلا، واعصمنا من الزلل برحمتك يا أرحم الراحمين، قلت قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم..

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

أيها المؤمنون: ومن أعظم أنواع الوفاء، الوفاء للوالدين ، فأين نحن من هذا الوفاء؟! فبعد التعب والكدح والسهر والجوع والعطش والحرمان من أجلنا لا نقابلهم بالوفاء!! والله عز وجل يقول: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً \* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) [الإسراء: 23- 24]، ومن صور الوفاء لهما، طاعتهما وبرهما، والإنفاق عليهما، والدعاء لهما، ومن كان والداه قد توفيا، فاسمع لهذا الأثر، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: [ترفع للميت بعد موته درجته، فيقول: -أي بعد الموت لما يلقى الله، ويرى درجته عالية في الجنة وله منازل رفيعة في الجنة، وهو لم يفعل شيئاً في الدنيا- فيقول: أي ربي! أي شيء هذا؟ -هذه الدرجات والأعمال أي شيء هذا يا رب؟- فيقول: ولدك استغفر لك ] ادع لهما اللهم اغفر لي ولوالدي، ادع لهما في السجود وفي السحر وبين الأذان والإقامة وفي أي وقت يستجاب فيه الدعاء، ادع لهما بالمغفرة: (وولد صالح يدعو له ) وعليك بكثرة الصدقة عنهما، فإن الصدقة مقبولة، عن الأحياء والأموات، وإن اعتمرت أو حججت عن نفسك، فإنه يشرع لك أن تعتمر عنهما وتحج عنهما.

فإياك أن تنساهما ولو ماتا، هذا نوح عليه السلام يقول: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً [نوح:28].

وفقنا الله وإياكم إلى البر بهما، و نيل رضاهما، ونسأل الله جل وعلا أن يرضيهما عنا وأن يجازيهما عما بذلا فينا جنات النعيم والفردوس الأعلى، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك .. اللهم اشف مرضانا ، وارحم موتانا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .. وألف على الخير قلوبنا .. ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .. هذا صلوا وسلِّموا على من أُمرتم بالصلاة عليه، إمام المتقين وقائد الغُرِّ المُحجلين، وعلى آلهِ وصحابته أجمعين، وارض اللهُمَّ عن الخلفاءِ الراشدين أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي وعن الصحابة أجمعين وعنا معهم بمن وكرمك يا أرحم الراحمين. والحمدلله رب العالمين.